مقاربة سوسيولوجية تحليلية لواقع تفاعل الأطفال بين الأسرة والعالم الرقمي

Sociological analysis of the reality of children's interaction between the family and the digital world

أ. العيد وارم
جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوعريريج ؛ الجزائر
Laid.ouarem@yahoo.fr
أ. السعيد مهدي
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف ؛ الجزائر
mehdisaid63@yahoo.fr

ملخص الدراسة

هدفت الدراسة إلى تبيان الهــوة التي أحدثتها شبكات التواصل الاجتماعي أو الأنترنيت بشكل عام في الأسرة، حيث تعتبر الأسرة من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية إن لم نقل أهمها على الإطلاق حيث تعد الركن الأساسي والمؤسسة المهمة التي تضمن نجاح باقي المؤسسات الأخرى، فلا يمكن للأسرة تحقيق نجاحاتها فيما يتعلق بالتنشئة الاجتماعية إلا في ظل التفاعل والتواصل والحوار بين أفرادها كآلية لتلقين السلوكات، وعليه يمكن القول في ظل التطور التقني وبروز شبكات التواصل الاجتماعية على الانترنيت أن هذه الاسرة أصبحت تعاني كثيرا من التحديات المختلفة وعلى رأس هذا التحدي " التنشئة الاجتماعية"، حيث يتعاظم يوماً بعد آخر تأثير شبكة الانترنيت على التنشئة.

حيث تم تناول الموضوع وفقا لرؤية سوسيولوجية تحذيرية من الخطر القادم عبر شبكات التواصل الاجتماعي لواقع التفاعل الأسري **المباشر والحقيقي** الذي يضمحل ويتلاشى شيئا فشيئا ، في حين يقوى وينمو ويتطور على **افتراضيا**، وهذا محور المقاربة السوسيولوجية لواقــع تفاعل الأطفال بين الأســـرة و العالم الرقمي شبكات التواصل الاجتماعي نموذجا.

الكلمات المفتاحية: تفاعل الأطفال – الأســرة – العالم الرقمي – شبكات التواصل الاجتماعي.

Abstract

The study aims to show the gap between the social networks or the Internet in general in the family, where the family is one of the most important institutions of social upbringing if not the most important at all as it is the cornerstone and the important institution that ensures the success of other institutions, the family can not achieve success in It is possible to say in light of the technical development and the emergence of social networks on the Internet that this family is suffering from many different challenges and at the top of this The "socialization", which is growing by the day the Internet impact on the socialization.

Where the subject was addressed according to a sociological warning of the danger of coming through social networks of the reality of direct and real family interaction, which gradually fade away, while strengthening and growing and develop on the virtual, and this is the focus of the sociological approach to the reality of interaction between children and the digital world social networks model.

***Keywords**: Interaction of children - family - the digital world - social networks.*

– مقدمة:

تعتبر مرحلة الطفولة من أهم المراحل التي يمر بها الفرد في حياته، كونها المرحلة التي يتلقى فيها الانسان السلوكات والقيم والمبادئ الاجتماعية تتحكم بعدها في جزء مهم من حياته وميولاته وحتى اتجاهاته مستقبلا.

كما وتعد مرحلة الطفولة حساسة جدا باعتبارها مرحلة البناء الحقيقي للفرد الايجابي والمنتج في مجتمعه، إذا تمت عملية التنشئة الاجتماعية بنجاح من جهة أخرى قد تفشل التنشئة وتنتج أفرادا ليسوا ايجابيين وبالتالي بوادر الفشل الاجتماعي ككل.

وإن فشل التنشئة الاجتماعية مرداته وأسبابه عديدة ، تعددت بفعل تطور الحياة بشكل عام وبروز مؤسسات أخرى دخلت على خط التأثير على الأفراد في المجتمع وتفشيل تنشئتهم على غرار وسائل التواصل الاجتماعي.

وتعتبر وسائل التواصل الاجتماعي من أهم الوسائل التي سيطرت على اهتمامات الأفراد في المجتمع سواءا أطفال أو شباب أو فئات أخرى من فئات المجتمع، حيث تعد هذه الشبكات على غرار موقع " الفايس بوك " الشهير وشبكات أخرى من أحدث وسائل الاتصال الجماهيري وأخطرها، حيث تتميز بقدرتها الفائقة على جذب الصغار والكبار حولها، وذلك بفعل قدراتها على المزج بين الصوت والصورة والحركة والاتصال والتواصل دون حواجز لا زمانية ولا مكانية.

ولعل أهم ما يلفت النظر في قضايا الأطفال والعالم الرقمي هو أن هذا الأخير اقتحم الحياة العامة وقضى على كل ما هو تقليدي، حيث أضحى العالم الرقمي بمضامينه وأدواته مهيمنا على حياة الأفراد وفلسفة حياتهم اليومية، ومن أبرز مظاهر العالم الرقمي شبكات التواصل الاجتماعي التي خطفت قلوب الصغار والكبار وأصبحت من أهم مواقع التواصل الاجتماعي استخداما، ويزداد هذا الاستخدام يوميا بحكم الخصائص المميزة لها.

إن أهم الأعراض الجانبية من وجهة نظرنا لاستخدام الأطفال هذه المواقع هو الانعكاس السلبي على التفاعل الحقيقي والمباشر مع الأسرة، حيث تتلاشى تدريجيا العلاقات الأسرية وتجف وتضعف مع مرور الأيام، وذلك بفعل العالم الموازي الذي وجه هؤلاء وبصفة مجانية تقريبا، من حيث أنه فضاءا بديلا عن التواصل والحوار الأسري.

وبناءا على ما سبق تأتي هذه الدراسة لتدق ناقوس الخطر القادم على الأسرة للتنبيه والإشارة إلى أن هذه المواقع خطفت بالفعل أطفالنا وشبابنا من بين أيدينا وبطريقة سلسلة وناعمة ومن دون أن نحس أو نشعر بذلك، من خلال تقديم مقاربة تحليلية مضمونها ما يلي : تحديد المفاهيم وضبطها، وشبكات التواصل الاجتماعي ودورها في اضمحلال وضعف التواصل الأسري، بالإضافة على التواصل الافتراضي الشبكي كبديـل عن التواصل الأسري الحقيقي.

1. الإشكالية:

يمكن القول أن تكنولوجيا الاتصال والإعلام قد تطورت و تمكنت من المساهمة في تطوير الحضارة الإنسانية و تيسير حياة الجنس البشري، حيث نجد أن العالم يمر بمرحلة تكنولوجية جديدة تكاد التطورات التي تحدث فيها أن تعادل كل ما سبق من تطورات في المراحل السابقة، حيث الآن يتغير شكل و أسلوب عمل وسائل الاتصال، إضافة إلى ظهور وسائل **جديدة** كان لها آثارها الاتصالية (**محمود علم الدين، 2005، ص138**) .

ويعتبر التحدي التكنولوجي من أبرز التحديات التي مست بشكل أو بآخر مؤسسة الأسرة التي تضمن للمجتمعات عامة تنشئة اجتماعية وفقا للمعايير والقواعد الاجتماعية المتفق عليها، إلا أن دخول التقنية بشكل عام على خط التنشئة

الاجتماعية و مشاركة الأسرة مهام التنشئة بل وفي بعض الأحيان تتغلب عليها من ناحية القدرة على التأثير، هذا التأثير مس جميع الجوانب، على غرار البنى الاجتماعية والنظم السياسية والفكر والتعليم، والأسرة.

فقد ساهمت التطورات المتلاحقة في شبكة الإنترنت في إيجاد شكل جديد من الإعلام، تعددت تصنيفاته ومسمياته لدى المهتمين والمختصين الإعلاميين، الذي أطلقوا عليه الإعلام الجديد، والإعلام البديل، ولكن أهم صفة هي **التفاعلية** خصوصا إذا تعلق الأمر خصوصا إذا تعلق الأمر بشبكات التواصل الاجتماعي والمواقع الإلكترونية، والمدونات والبوابات ومواقع المحادثة أو الدردشة وغيرها على شبكة الإنترنت التي غيرت جذريا مفهوم التواصل بمعناه التقليدي إلى معنى جديد يفتح فضاء واسعا للإبحار في شبكة من العلاقات العابرة للقارات.

لقد أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي عبر الانترنت، مثل" **الفيس بوك** " تعرف ب الإعلام الاجتماعي الجديد، الذي يشهد ديناميكية من الاستخدام والانتشار، وقد كان في بداياته مجتمعا افتراضيا على نطاق ضيق ومحدود، ثم ما لبث أن كبر مع الوقت ليتحول من أداة إعلامية نصية مكتوبة إلى أداة إعلامية سمعية وبصرية تؤثر في قرارات المتأثرين واستجاباتهم إذ أصبحت تشهد اقبالا كثيف في الفترة الأخيرة فأصبحوا يقضون اغلب أوقاتهم على هذه الشبكات ، الأمر الذي ساهم في غياب العادات والتقاليد المتمثلة بالعلاقات الاجتماعية وصلة الأرحام لدى بعض الأطفال والشباب، خصوصا وان هذه المواقع أصبحت شغلهم الشاغل بالتالي تظهر تلك الأزمة المسماة " العزلة الاجتماعية " والمتعلقة بمصير العلاقات الاجتماعية الحقيقية، فقد اضمحلت في الآونة الأخيرة فأصبح الأقارب والأصدقاء لا يرون بعضهم البعض إلا في المناسبات والأعياد والسبب في هذا هو التطور التكنولوجي الملحوظ خلال السنوات العشر الأخيرة وفي كافة المجالات وأصبحوا يتواصلون من خلال الأدوات التكنولوجية مثل الهاتف الخلوي والانترنت.

ونلاحظ أن المجتمع الجزائري خاصة والمجتمعات العربية عموما تغيرات كثيرة على صعيد التفاعل الاجتماعي ونمط التفاعل، هذا التغير سببه المباشر أجهزة الهواتف الذكية المرتبطة بشبكة الانترنيت، حيث لم يعد الولوج إلى هذه الشبكات مقتصرا على وقت محدد وقصير، وليس محدود في ما تعلق بالمكان حيث ألغت هذه الشبكات الزمان والمكان، فتلاحظ أن الاستخدام في كل وقت وفي أي مكان وبدون ملل ، دل على ذلك عدم ترك الهواتف من بين أيديهم حتى ولو كانوا في اتصال وتواصل حقيقي وليس افتراضي، الأمر الذي أحدث شرخا في بنية الأسرة ووظائفها، حيث برزت ثقافات جديدة، وبرزت معها مشكلات عديدة على مستوى الأسر وذلك بعد دخول وسائل الإعلام والاتصال الجديدة للمنازل والغرف وتشكيل علاقات افتراضية موازية للعلاقات الواقعية .

وبالنظر إلى الدراسات السابقة القيمة التي اهتمت بالموضوع نجد أن أغلبها أكد وجود ما أطلقنا عليه في هذه الدراسة بمصطلح (الهوة) ، فبالنسبة لدراسة حلمي ساري (2005م): (**حلمي ساري، 2005، ص19**) " ثقافة الإنترنت دراسة في التواصل الاجتماعي "، فتمتاز هذه الدراسة بشموليتها وتوسعها في المجال المعرفي، بما يخص تكنولوجيا المعلومات، سواء من الناحية النظرية أو التطبيقية، وتناولت الآثار الايجابية والسلبية على حد سواء، حيث أجريت على عينة من شباب قطر–مدينة الدوحة من كلا الجنسين بلغ حجمها (472). ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، والتي تخص موضوع هذه الدراسة، هو مشكلة العزلة النفسية والاجتماعية الناجمة عن الإدمان على استخدام شبكة

الإنترنت، ومن أهم أعراضها: أولاً: انتشار القلق والتوتر والإحباط، وثانياً: تذمر أسر الشباب بسبب انشغال أبنائهم بالإنترنت، وثالثاً: خلخلة علاقات الشباب الاجتماعية بعائلاتهم من حيث تذمر الشباب من زيارات الأقارب.

ومن ثم تتحدد مشكلة هذه الدراسة، في التساؤل الرئيسي التالي : **ما هو واقــع تفاعل الأطفال بين الأســـرة والعالم الرقمي؟**

ويثير هذا الموضوع مجموعة من التساؤلات الهامة والتي تنحصر فيما يلي:

- ✓ **هل لشبكات التواصل الاجتماعي دور في اضمحلال وضعف التواصل الأسري ؟**
- ✓ **هل يمكن اعتبار أن التواصل الافتراضي الشبكي أصبح بديــلا عن التواصل الأسري الحقيقي ؟**

2. تحديد المفاهيم:

أ– التفاعل:

يعرف التفاعل بأنه: " التأثير والتأثر، أو الأخذ والعطاء بين فردين أو شخصين أو أكثر وقد يكون مباشرا أي وجها لوجه، وقد يحدث بشكل غير مباشر"، وهو :" عمل متبادل حيث يشترك فيه كل فرد داخل الجماعة ويكيف نفسه ليعمل مع الآخرين، وكذلك التفاعل ليس عملا مشتركا موجها من شخص لشخص آخر فقط، بل إنه رد فعل ذاتي بمعنى تفاعل الشخص مع نفسه " (**أبو النيل محمود السيد، 1978، ص 232**)، كما يعرفه " **أوبنك** " بأنه:" قوة العمل الجماعي الداخلية كما يراها الذين يساهمون فيها " (**مينرونوف جان، 1974 ،ص69**).

ب– التفاعل الاجتماعي:

يعد التفاعل الاجتماعي بشكل عام نوعا من المؤثرات والاستجابات، وفي العلوم الاجتماعية يشير إلى سلسلة من المؤثرات والاستجابات التي ينتج عنها تغيير في الأطراف الداخلية فيما كانت عليه عند البداية، والتفاعل الاجتماعي لا يوثر في الأفراد فحسب بل يؤثر كذلك في القائمين على البرامج أنفسهم بحيث يؤدي ذلك إلى تعديل طريقة عملهم مع تحسين سلوكهم تبعا للاستجابات التي يستجيب لها الأفراد. (**أحمد الشناوي وآخرون، 2001، ص 65**).

وهو ضروري للجنس البشري حيث ساهم في التطور والنمو والتعايش والتعارف بين الأمم والمجتمعات ووسيلة اتصال وتفاهم بين أفراد المجموعة، وكذلك يعد أهم ميزة يتميز بها المجتمع حيث إذا غاب التفاعل تغيب الميزة الأساسية للمجتمع، فالديناميكية محرك أساسي للنهضة والتطور.

ويمكن تعريف التفاعل في هذه الدراسة بأنه مجمل النشاطات الانسانية والعلاقات الاجتماعية التي تتكون بالاحتكاك والتواصل والحوار بالأخص لدى أفراد الأسرة الواحدة بالمفهوم الشامل للأسرة.

ج– الأطفال:

الطفولة من منظور علم الاجتماع " هي المرحلة التي يكون فيها الطفل المستجيب دوما لعمليات التفاعل الاجتماعي، أو هي المدة التي يعتمد فيها الطفل على والديه حتى النضج الاقتصادي". (**أميرة منصور يوسف علي ، 1999 ، ص – ص 138 ،139**).

وتنقسم الطفولة إلى مراحل زمنية يتميز كل منها بطابع محدد، يسودها من حيث النمو العضوي، والنفسي والسلوكي والاجتماعي مع وجود فروق فردية ترجع لاختلاف ظروفهم الخاصة التي يتعرضون لها أثناء مراحل النمو المختلفة. فإن الطفولة هي المرحلة الأولى في حياة الفرد ، والتي من خلالها تتشكل. (**محمد عاطف غيث بدون تاريخ، ص 60**).

د- الإعلام الجديد:

يعرف قاموس التكنولوجيا الرفيعة **High -Tech Dictionary-** الإعلام الجديد بشكل مختصر ويصفه بأنه " اندماج الكومبيوتر وشبكات الكومبيوتر والوسائط المتعددة " (**عباس مصطفى صادق، 2011، ص9**).

وتضع كلية **شريديان التكنولوجية Sheridan** تعريفاً إجرائيا للإعلام الجديد بأنه" أنواع الإعلام الرقمي الذي يقدم في شكل رقمي وتفاعلي، ويعتمد على اندماج النص والصورة والفيديو والصوت, فضلا عن استخدام الكومبيوتر كآلية رئيسة له في عملية الإنتاج والعرض، أما التفاعلية فهي تمثل الفارق الرئيس الذي يميزه وهي أهم سماته" (**المرجع نفسه**).

ويطلق مصطلح الإعلام الجديد على تكنولوجيات الاتصال الجديدة وثورة المعلومات التي ظهرت في الجزء الأخير من القرن العشرين، كما أصبح لشيوع وسائط الإعلام الجديد واستهلاكها من جانب الجمهور، علاقة غير قابلة للشك في ميلاد عصر اتصالي جديد أطلق عليه البعض عدداً من المسميات مثل : العالم الافتراضي، الاتصال الرقمي ... وغيرها من التعبيرات، والتي تعبر عن ظاهرة إنسانية تقنية واحدة، فالإعلام الجديد ساهم في إعادة تشكيل الأنماط التواصلية التقليدية القديمة القائمة على احتكار النخب السياسية والثقافية لوسائط الإعلام وباقي وسائل التعبير في الفضاء العام. (**حاتم سليم العلاونة 2012، ص 03**).

وسائط الإعلام الجديدة هي مصطلح واسع في الدراسات الإعلامية التي ظهرت في الجزء الأخير من القرن العشرين، والتي أصبح من خلالها إمكانية الوصول إلى المحتوى في أي وقت وفي أي مكان، وعلى أي جهاز رقمي، فضلا عن ردود الفعل المتاحة للمستخدم من التفاعلية والمشاركة الخلاقة، وتشكيل المجتمع حول محتوى وسائل الإعلام، بالإضافة إلى رقمنة المحتوى على النقيض من الإعلام التقليدي.

(**أحمد مصطفى علي http://www.alukah.net/Culture/10894/40820/#ixzz2CHbSqZku**)

وتشمل وسائل الإعلام الجديدة بعض الأمثلة على شبكة الإنترنت، والمواقع، والوسائط المتعددة للحاسب الآلي، وألعاب الكمبيوتر والأقراص المدمجة، وبرغم كونها لا تشمل البرامج التلفزيونية، الأفلام الروائية، المجلات، الكتب، أو المطبوعات الورقية، إلا أنها تدخل في نطاقها إذا احتوت على التكنولوجيات الرقمية التي تتيح التفاعل.

وقد برز مؤخرا هذا المصطلح بشكل كبير.. لكن الإعلام الجديد ليس مُستحدث بل جديد في أدواته و هي الأدوات ووسائل الاتصال الحديثة خصوصا المرتبطة بالأنترنت، كالمدونات والشبكات الاجتماعية مثل: الفايسبوك وتويتر ومواقع الصور والفيديو مثل اليوتيوب والكثير يُضيف إليها الصحافة الإلكترونية خصوصاً أن الصُحف الورقية واكبت الإعلام الجديد بإطلاق نُسخ إلكترونية لصُحفها.

هـ- شبكات التواصل الاجتماعي:

هي مجموعة من الشبكات العالمية المتصلة بملايين الأجهزة حول العالم، لتشكل مجموعة من الشبكات الضخمة، والتي تنقل المعلومات الهائلة بسرعة فائقة بين دول العالم المختلفة، وتتضمن معلومات دائمة التطور. (**زهير عابد ،2012، ص139**)، مصطلح يطلق على مجموعة من المواقع على شبكة الانترنت العالمية (World Wide Web) تتيح التواصل بين الأفراد في بيئة مجتمع افتراضي، يجمعهم الاهتمام أو الانتماء لبلد أو مدرسة أو فئة معينة، في نظام عالمي لنقل المعلومات، ومن بينها الموقع الشهير (facebook)، و(twiter) وغيرها .

و– العلاقات الاجتماعية:

هي صورة تُصوِّر التفاعل الاجتماعي بين طرفين أو أكثر، بحيث يتكون لدى كل طرف صورة عن الآخر، والتي تؤثر سلباً أو إيجاباً على حكم كل منهما للآخر، ومن صور هذه العلاقات: الصداقة، والروابط الأسرية والقرابة، وزمالة العمل والمعارف أو الأصدقاء. (**فايز المجالي 2007. ص171**).

ز– التواصل الأسري:

يعد ذلك التفاعل والتحادث والمناقشات ، وكذلك الاتصال الذي يكون بين طرفان في عائلة واحدة أو عدة أطراف (الوالدين والأبناء) والذي يتخذ عدة أشكال تواصلية، كالتفاعل والتحاور والتشاور والتفاهم والإقناع والتوافق والاتفاق والتعاون والتوجيه والمساعد على أمور أو أهداف مشتركة تخص العائلة أو تخص الشأن العام والفائدة العامة.

ويعني **التواصل الأسري** ذلك التناغم والتفاعل والاحتكاك بين أفراد العائلة الواحدة من أجل تحقيق رؤية مشتركة وأهداف وطموحات وأساليب حياة مشتركة وهذا في أحلى صوره ، في حين لم يعد في أحلى صوره بالكامل في ظل تنامي استخدام شبكات التواصل الاجتماعي حيث سنوضح في المبحث التالي دور هذه الشبكات في اضمحلال وجفاف العلاقات الأسرية بسبب الاتجاهات نحو الاستخدام الكثيف لهذه الشبكات.

3. شبكات التواصل الاجتماعي ودورها في اضمحلال وضعف التواصل الأسري:

لقد لفتت الانتباه ظاهرة التواصل عبر شبكات التواصل الاجتماعي في الآونة الأخيرة العديد من المنشغلين والمهتمين بقضايا المجتمع، حيث أصبحت مؤشرات تأثيراتها على الصعيد الاجتماعي ظاهرة للعيان ولا ينكرها إلا جاحد ، حيث زادت الشكاوي الوالدية من أن هذه المواقع استحوذت على أذهان الأفراد في المجتمع بغض النظر على أعمارهم وفئاتهم أو مستوياتهم الثقافية والعلمية، فالمشترك الوحيد هو الادمان على تصفحها يوميا ولساعات طوال ، الأمر الذي انعكس سلبيا على التواصل الأسري .

والملاحظ اليوم أن الأطفال دخلوا هذا العالم بقوة، وأصبحوا مهتمين جدا بشبكات التواصل الاجتماعي، مستخدمين لها يوميا ولساعات طوال ، ومندمجين في عالم افتراضي موازي للعالم الواقعي، وهو ما أثبتته الإحصائيات المتعلقة باستخدام هذه الشبكات، إذ يعتبر موقع " الفيس بوك" كأحد مواقع التواصل الاجتماعي من أشهر وأكثر موقع شعبية على الإطلاق فيمكن اعتباره من أكثر مواقع الشبكات والتواصل الاجتماعي استخداما ورواجا من خلال ما اكتسبه من مميزات، وبما يتمتع من خصائص كسب بها الملايير من رواده، وسهل للأفراد وبالأخص الشباب تكوين علاقات اجتماعية متنوعة ولأهمية مواقع التواصل الاجتماعي ودورها في صقل شخصية الشباب وتنميتها، فقد أظهرت الدراسات (أن عدد مستخدمي « فيس بوك » بحلول 2017 في المنطقة العربية قارب 156 مليون مستخدم، مقارنة ب .115

مليوناً في العام الماضي، وأن 11.1 مليون مستخدم نشط لـ « تويتر» في المنطقة العربية في أوائل 2017، مقارنة بـ5.8 ملايين قبل ثلاث سنوات.(Salem, F. 2017).

وفي دراسة قام بها (**كريستوفر ساندیرز**) تبين أن هناك علاقة بين استعمال الانترنت **ومشاعر العزلة الاجتماعية والاكتئاب**"، وقد بينت دراسة أخرى أن الاستعمال الزائد للأنترنت كانت له علاقة مع **انخفاض الاتصالات العائلية**، ونقص حجم الدائرة الاجتماعية المحلية للعائلة، مع **زيادة مشاعر الاكتئاب و الوحدة** فالتقنيات الاتصالية للأنترنيت تجعل الفرد يشعر بمتعة وانبساط، نظرا لإمكانية الحديث مع أشخاص من كل أنحاء العالم و في الوقت الآني المتزامن، وهذا ما يجعله يستغرق في النقاشات ويقضي أوقاتا دون أن يشعر، وبالتالي "ينفصل عن المجتمع الحقيقي و يدخل في مجتمعات افتراضية"، ويصبح شخصا غريبا عن مجتمعه، وينقص اهتمامه بقضاياه وبأحداث محيطه الاجتماعي، و مع مرور الوقت يتحول إلى شخص منعزل تماما عن بيئته الاجتماعية، ويصيبه ما يسمى "**بالانعزال الذاتي le repli sur soi**"، ويزداد ارتباطه بأصدقائه الافتراضيين، إلى درجة أن يفقد الرغبة في الجلوس لمدة طويلة مع أفراد عائلته وأصدقائه، و يعود هذا الارتباط الشديد بالجماعة الافتراضية وبمنتديات المحادثة الالكترونية، إلى كون هذه المنتديات "**توفر بيئة يقوم فيها الأفراد بتطوير شعور الانتماء و الهوية الاجتماعية** (**social identity**)، وتوفر بنيات اجتماعية موجودة في المجتمع الحقيقي" (**إبراهيم بعزيز 2010، ص09**).

إن العولمة الاتصالية (وتُعدّ الإنترنت أهم مظاهرها) تطرح رهانات قيمية غاية في الخطورة على قيم الأسرة التي صارت على المحكّ، فعندما يحلّ هذا العالم – الذي تختفي فيه القيود وتضعف فيه حميمية العلاقات الأسرية ، يُصبح من الضروري تعجيل فتح باب الحوار على مصراعيه مع الأبناء والتواصل الإيجابي والجادّ معهم، والحرص من خلاله على مُطالعة اتجاهاتهم وتوجّهاتهم ومشاركة همومهم وآلامهم وآمالهم وأحلامهم. (**عبد المنعم نعيمي، 2004**).

كما يرى العديد من الباحثين أن طبيعة العلاقة بين الفرد ووالديه، والسمات الشخصية للوالدين، ومستواهم الاجتماعي والثقافي تؤثر في سلوك أبنائهم وشكل العلاقات الاجتماعية بينهم فكثير من الاضطرابات السلوكية تنتج عن اختلال الوضع الأسري، فقد أشارت نتائج العديد من الدراسات أن الأفراد الذين يعانون من صراعات عائلية وعدم استقرار في علاقاتهم مع أسرهم هم أكثر الأشخاص إحساسا بالعزلة ، وأكثر الأشخاص هروبا من الواقع عن طريق استخدام الانترنيت. (**علياء سامي عبد الفتاح ،2009 ،ص 105**).

وتعتبر الأسرة عنصرا هاما من عناصر البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الشاب، بل وتعتبر أهم عناصرها، لما تلعبه من دور أساسي في بناء صورة الذات لديه، وفي بناء شخصيته ككل وخاصة من جانبها النفسي والاجتماعي وقد نمى دورها اليوم بالخصوص مع بروز مؤسسات أخرى تجذب الأطفال إليها وتحاول إقصائها والقضاء على دورها في التنشئة والرعاية، على غرار المؤسسات الإعلامية من خلال شبكة الانترنيت التي فتحت آفاقا أخرى لدى الأطفال للاكتساب والتقليد مما جعلنا نتساءل حول الوقت الذي يقضيه المبحوث مع الأسرة مقارنة بالوقت الذي يقضيه في مواقع التواصل الاجتماعي، أو الأسرة الافتراضية الموازية للأسرة الحقيقية، وهنا تطرح قضية مهمة جدا تتعلق بما يعرف " بالتواصل الأسري" الذي يلعب دورا في التماسك الأسري الذي يعرف بأنه: **[زيادة العلاقات الموجبة التي تدور في المحيط الداخلي للجماعة فكلما ازدادت العلاقات ازداد تماسك الجماعة، وكلما تشتت هذه العلاقات، واتجهت نحو الجماعة**

الخارجية ضعف التماسك الداخلي] (**أحمد زكي بدوي 1994 ، ص86**)، ويعد أحد مؤشرات النجاح في التنشئة والضبط والرقابة، حيث نشهد اليوم وبسبب مواقع التواصل الاجتماعي نوعا من " **العزلة الاجتماعية**" التي فرضها الفايس بوك والشبكات الاجتماعية والانترنيت بصفة عامة على مستخدميه، هذه العزلة هي انعكاس سلبي على التواصل الأسري الحقيقي، وقد أكد العديد من الدارسين والمهتمين بقضايا الأسرة والتربية أن للإعلام دور في اكتساب الشباب لسلوكيات تتنافى مع القيم والهوية التي نشأوا عليها.

وبناءا على ما سبق يمكن القول بصريح العبارة أن شبكات التواصل الاجتماعي لها دورا هاما في اضمحلال وضعف التواصل الأسري، حيث لا يمكن أن ننكر أنه كلما ازداد المستخدم الولوج إليها وأطال استخدامها ، أدمن عليها، كلما ازداد انفصالًا عن الواقع المعاش وضعفًا في المشاركة الفعالة في مجتمعه، وابتعادا عن أسرته.

4. التواصل الافتراضي الشبكي أصبح بديــلا عن التواصل الأسري الحقيقي:

عُرف الإنسان أنه كائن اجتماعي ،يميل إلى العيش وسط جماعة، يؤثر فيها ويتأثر بها حسب طرح **أنطوني غيدنز** وذلك من خلال التفاعل والتواصل الاجتماعي بطرق عديدة، ومع بروز شبكات التواصل الاجتماعي حدثت نقلة نوعية في أسلوب ونمط التواصل وطرقه وحتى في أبعاده، حيث هيمنت هذه المواقع على عقول الشباب وسحرت قلوبهم حتى أصبحنا نراهم يحملون هواتفهم أو اللاب توب، أو أجهزتهم الذكية الأخرى في كل وقت، في المنازل والشوارع والجامعات، والمقاهي وفي كل مكان يجلسون معك جسدا ولكنهم ليسوا معك روحا ولا تسمع إلا صوت تنبيهات لرسائل فايسبوكية وصوت الأصابع تدقدق في الهاتف تقوم بالرد عليها في موقف يعبر عن الانطوائية والعزلة بالرغم من أنهم حاضرين مع أسرهم، حيث يعيشون تحت سقف واحد لكنهم منفصلون روحيا، فلكل منهم عالمه الخاص وغرفته الخاصة ألا وهي غرفة الدردشة.

والمتأمل لتطور العلاقات الإنسانية في المجتمعات الحديثة قد يلحظ أنها بحكم تعقد الحياة وزيادة التخصصات وتعمقها، فضلاً عن تطور التكنولوجيا الحديثة، سواء في المباني أو التنظيمات أو وسائل الاتصال، كل ذلك يدفع على مزيد من العزلة والتقوقع، حتى ارتفعت جدران نفسية سميكة حتى بين أفراد الأسرة الواحدة، فكل مشغول بنفسه يلهث وراء مصالحه و أهدافه، لدرجة أصبح معها الحديث الشخصي الحميم في العديد من الأسر المعاصرة ترفاً لا يستطيعونه.

(فرغلي هارون محمد، HTTP://WWW.DIWANALARAB.COM/SPIP.PHP?ARTICLE15490)

وقد أحدث ظهور الانترنيت تحولات جوهرية في طبيعة الاتصال الإنساني الجماهيري للدرجة التي أصبحت معها بحوث الاتصال الجماهيري عامة وبحوث التأثيرات الاجتماعية خاصة في حاجة إلى مراجعة شاملة لتفي بمتطلبات هذه التحولات، حيث يرى معظم الباحثين " أن العلاقات الاجتماعية بين الأفراد أخذت شكلا آخر عما كانت عليه من قبل (**علياء سامي عبد الفتاح : مرجع سابق، ص07**)، وخاصة بظهور الانترنيت والتليفون المحمول، وشبكة الفايس بوك.

وبناءا عليه فإن استعمال شبكات التواصل يتخذ طابع الفردانية، حيث بدلا من أن يقوم الفرد بنشاطاته اليومية كالتسوق ومشاهدة البرامج الترفيهية والتثقيفية مع أسرته، أصبح يقوم بها بمفرده على شبكات التواصل الاجتماعي، لذلك فإن لانتشار الشبكات الاجتماعية مثل الفايس بوك أفرز العديد من العديد من المشكلات الاجتماعية ، فنجد " **فيليب بروتون**" يطلق مصطلح " الثمالة الاتصالية " (**L'verse de communication**)، على الاستعمال المفرط

لهذه الشبكات ويؤكد على المخاطر المحتملة والجسمية على التفاعل الإنساني، التي تقود الأفراد إلى العزلة النفسية والاجتماعية عن محيطهم بفعل الاستخدام المفرط، كما يؤكد دومينيك نـــورا (**Dominique Nora**) أن هذه الوسائط الاتصالية قد رسمت مجالا علاقاتي جديد، مبني على الاتصال عن طريق الحواسيب والشبكات عوض الالتقاء بصورة جسمانية – فيزيقية، فأصبح الأفراد افتراضيين، وكائنات حوارية كتابية، وهذا النمط الجديد من الاتصال أثر على عملية التفاعل الفردي والجماعي داخل المحيط الأسري، وداخل المحيط الاجتماعي للمجتمع الأكبر، فأصبح الفرد حبيس غرفته، يتواصل مع الملايين من أقرانه حبيسي الغرف أيضا.

(**حدادي وليدة :https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/20/7/21/1626 ص280**).

وتجدر الإشارة إلى أهمية التواصل والتفاعل الاجتماعي على التماسك الاجتماعي، فمثلما هناك أهمية للتواصل والحوار الأسري، يكتسي التواصل الاجتماعي بين الأسر والأفراد أهمية بالغة وأثر ايجابي بالغ ينعكس إيجابا من خلال تقوية الروابط والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد .

وتعد شبكات التواصل الاجتماعي متنوعة بمضامينها ومحتوياتها المتجددة والمتنوعة والتي تلبي رغبات المستخدمين وتحقق اشباعاتهم المختلفة سواء العلمية أو العاطفية أو الثقافية أو الأخبار، حيث أصبح الموقع اليوم سباقا لنشر كل الأخبار في وقتها بالصوت والصورة، بالتالي فالتواصل الافتراضي الشبكي أصبح بديـلا عن التواصل الأسري الحقيقي. فالاستخدام العقلاني الواعي يدعم العلاقات الاجتماعية ويسهل التواصل، في حين الاستخدام اللاوعي سيجعل المستخدم يدخل في دوامة ما يعرف بالمجتمع الافتراضي المبني على الأحلام والأوهام المصطنعة، والذي لا يمكن الاستغناء عنه بعد الإدمان عليه، ويصبح بديلا عن الأسرة ويحل محلها، حيث نلمس نوعا من التغيير في بعض عناصر الثقافة وتخليه عن عناصر قيميـــــــة (**قيم التخلي**) وسعيه إلى التقليد واقتناء عناصر أخرى (**قيم التحلي**) ولا شك أن الأطفال و الشباب يمثلون أهم الفئات المستهدفة على أساس أنهم أكثر قابلية للتجديد، وأكثر استهلاكا للمضامين الإعلامية الجديدة حسب الدراسات والتقارير.

– خاتمة واقتراحات:

بعد العرض السابق، أعتقد أننا بحاجة ماسة لاستحداث أدوات اجتماعية تساهم في **التماسك العائلي**، فنمط وطريقة استخدامنا لتلك الشبكات هي ما تحدد كيفية تأثيرها علينا وعلى من حولنا وهذه بعض المقترحات للتقليل من تأثير العالم الرقمي على الأفراد في المجتمع :

1- ضرورة توعية أفراد المجتمع بشكل عام والشباب منهم بشكل خاص بما يمكن القيام به من خلال الشبكة وتوجيههم ناحية الاستغلال الأمثل لها بما يعود عليهم وعلى مجتمعاتهم بالنفع.

2- نؤكد ضرورة التأكيد على دور الآباء والأمهات في رعاية ووقاية الأبناء من مخاطر الإنترنت من خلال التوجيه والمتابعة والرقابة والتنظيم.

3- إجراء المزيد من الأبحاث في مجال تأثير الانترنت على الأسرة والمجتمع.

4- إن صمام الأمان على الجبهة الإيديولوجية هو ما يعرف بالأمن الثقافي كنظام دفاع إيديولوجي وأخلاقي من خلال التنشئة الاجتماعية والثقافية والأخلاقية الصالحة والناضجة للفرد القادر على التعامل بمسؤولية مع العالم سواء **الواقعي أو الافتراضي** الأمر الذي ينتج علاقة سليمة ومنتظمة للفرد تجمعه مع والديه، وثقة تُبنى من سنوات عمره الأولى تمكنه من اللجوء لهما والسماع منهما والامتثال لتوجيهاتهما والتحاور والتفاعل والتواصل معهما، ومدى عمق ومتانة هذه الثقة إنما يقاس بمدى قرب أفراد الأسرة من بعضهما البعض.

5- على الآباء وأولياء الأمور أيها تعلم وتطوير المهارات حول كل ما يتعلق بالأنترنيت، وشبكات التواصل الاجتماعي، وكل العالم الافتراضي الرقمي وما يحتويه من مضامين للتحكم أكثر في استعمالاته من طرف الأبناء، وهذا الأمر يمكن الأولياء من وضع قوانين وشروطًا للأولاد، لوضع "ميثاق" أو اتفاق للاستخدام الآمن للشبكة العنكبوتية، وتحددا معًا ساعاتٍ معينة في اليوم, أو ماهية المواقع المسموحة وغير المسموحة للولوج إليها والبحث فيها .

كما نؤكد في الأخير على أهميّة **الجلسات العائليّة**، ودورها في تقوية الروابط الأسريّة، وضرورة تنظيم حملات توعويّة لأفراد الأسرة بأهميّة التواصل والحوار خلال الجلسات العائليّة، والتأكيد على أن التواصل الإلكتروني ليس بديلاً عن الزيارات والجلسات العائليّة.

– الهوامش

1 أحمد زكي بدوي، (1994) **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، دار الفكر اللبناني، بيروت 1994 .

2- حمود أبو النيل مالسيد، (1978) **علم النفس الاجتماعي**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

3- أحمد الشناوي وآخرون، (2001) **التنشئة الاجتماعية للطفل**، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

4- أميرة منصور يوسف علي، (1999) **محاضرات في قضايا السكان والأسرة والطفولة**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

5- إبراهيم بعزيز، (2010) **وسائل الاتصال الجديدة وأثرها على ثقافة المستعملين**، ورقة قدمت في الملتقى الوطني "وسائل الإعلام والمجتمع" ، جامعة محمد خيضر- بسكرة.

6- أحمد مصطفى علي، **حقيقة الصراع والتكامل بين الإعلام الجديد والتقليدي – الجزيرة نموذجاً–** ، بحث منشور على الأنترنت شبكة لألوكة، http://www.alukah.net/Culture/10894/40820/#ixzz2CHbSqZku

7- محمود علم الدين، (2005) **تكنولوجيا المعلومات والاتصال ومستقبل صناعة الصحافة** ، دار السحاب ، القاهرة

8- زهير عابد، (2012) **دور شبكات التواصل الاجتماعي في تعبئة الرأي العام الفلسطيني نحو التغيير الاجتماعي والسياسي**، مجلة جامعة النجاح للأبحاث العلوم الإنسانية، مجلد 26(6).

9- حاتم سليم العلاونة، (2012) **دور مواقع التواصل الاجتماعي في تحفيز المواطنين الأردنيين على المشاركة في الحراك الجماهيري**، "دراسة ميدانية على عينة من النقابيين" ورقة مقدمة للمؤتمر العلمي السابع عشر بعنوان " ثقافة التغيير". كلية الآداب / جامعة فيلادلفيا، عمان/الأردن.

10- حلمي ساري، (2005) **ثقافة الإنترنت دراسة في التواصل الاجتماعي**، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

11- جان مينرونوف، (1974) **ديناميكية الجماعات**، ترجمة فريد انطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، لبنان.

12- مفتاح علي حسين الحاج، (ب ت) **قواعد ومعايير التفاعل الاجتماعي داخل الأسرة**، مجلة كلية الآداب ، العدد الثالث.

13- محمد عاطف غيث، (ب ت) **قاموس علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

14- عبد المنعم نعيمي، **الدور القيمي للحوار الأسري في ظل مخاطر الاتصال الافتراضي المعولم**، شبكة الألوكة.

15- علياء سامي عبد الفتاح، (2009) **الانترنيت والشباب– دراسة في آليات التفاعل الاجتماعي**، ط1،- دار العالم العربي، القاهرة ، مصر.

16- عباس مصطفى صادق، (2011) **الإعلام الجديد**": دراسة في مداخله النظرية وخصائصه العامة"، البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال، عباس مصطفى صادق.

17- فايز المحالي، (2007) **إستخدام الإنترنت وتأثيره على العلاقات الاجتماعية لدى الشباب الجامعي**، دراسة ميدانية، المنارة، المجلد 13، العدد 7.

18-Salem, F. (2017) The Arab Social Media Report 2017: Social Media and the Things: Towards Data-Driven Policymaking in the Arab World Internet of Government. (Vol. 7). Dubai: MBR School of